تُريد تحصيل العلم ؟

الطريق من هنا



محاضرة لفضيلة الشيخ

د. عامر بن محمد فداء بهجت

- حفظه الله -

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

.... النَّبِيّ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بعلامةٍ إذا تحققت في العلم كانت أمارة وعلامة عَلَى إرادة الله الخير بالإنسان، وَهِيَ التَّفَقُّه في الدين، قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**مَن يُرد الله بِهِ خيرًا يُفقه في الدين**»، وبعدُ: من يُرد الله العظيم بِهِ خيرًا يُفقههُ في دينهِ القيمِ.

شوف لا تتخيل أبدًا أن شيئًا من الدُّنْيَا يعدلُ تحصيل العلم، الناس كانوا معك دخلوا أطباء، وبكره يصير طبيب استشاري وراتبه ستين ألف، وسبعين ألف، وأنت تتخرج يا طويل العمر، ويا الله تحصل لك عشر آلاف، لكن أعلم أن نعمة هٰذَا العلم الشرعي الَّذِي تعرفُ بِهِ ربك وتعرفُ بِهِ شريعتك خيرٌ من الدُّنْيَا وما فيها، والعلمُ لا يُراد أبدًا لأجل توفر فرص العمل، هٰذَا العلم يُراد لأجل أن يتوفر لك مقعدَ في جناتٍ ونهر، لا ليتوفر مقعد في عمل ولا في وظيفة.

نعم، إذا تيسرت لك وظيفةٌ لتُبلغ بها دين الله عَزَّوَجَلَّ وتُعلمَ الناس، فأنت بها ونعمة، أما العلم فإنه يُرادُ لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

فالمقصودُ أَيُّهَا الإخوةُ الكرام أن تعرفوا حجم النعمة وحجم المنة من الله عَزَّوَجَلَّ، وينبغي للإنسان دائمًا أن يتذكر نعمة الله، الْإِنْسَان بطبعه ينسى، وما سُمي الإنسانُ إِلَّا لنسيهِ، ولا القلبُ إِلَّا أَنَّهُ يتقلب، والإنسان ينسى، ولهذا الله في الْقُرْآن يذكرنا: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٧].

فأنا أذكركم أولًا بنعمة الله عَزَّوَجَلَّ عليكم، لم يؤتى أحدٌ من أهلِ الدُنيا شَيْئًا في الدُّنْيَا خيرٌ مِمَّا أوتيتم من التوفيقِ لطلب العلم، أن تكون مجالسكَ الَّتِي تُصبحُ عليها وتُمسي عليها هِيَ قَالَ الله، وقال رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، واللهِ خيرٌ من الدُّنْيَا وما عليها.

والنبيُّ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد قَالَ لنا هٰذَا وأخبرنا بأبي هُوَ وأُمي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

إذا رأيتَ شباب الحي قد نشأوا ... لا يحملون قلال الحبر والورق
ولا تراهم لدى الأشياخِ في حِلقٍ ... يعونَ من صالح الأخبار متسقَ

فدعهم عنك وأعلم أنهم همجٌ قد بدلوا بعلوِ الهمةِ الحمق

ثُمَّ أعلموا رحمكم الله، أعلموا أن الَّذِي أنتم فيهِ من طلب العلم وتحصيله، هُوَ منةٌ منك، لا تتكبر بها، ولا تشوف نفسك، لكنها منةٌ وفقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهَا عَلَى الأُمةِ كلها فَإِنَّ طلب هٰذَا العلم من فروضِ الكفايات، وفرضُ الكفاية إذا لم يقم بِهِ أحد أثم كُلُّ قادرٍ عَلَيْهِ، وإذا قام بِهِ مَن يكفي سقطَ الإثمُ عن الباقين، فحسبُ طلبة العلمِ شرفًا أنهم يُسقطونَ الإثمَ عن الأُمةِ كلها ولو لم يطلبوا العلمَ لأثمَ الكُل.

والفرضُ مقسومٌ إِلَى نوعينِ فرضُ كفايةٍ وفرضُ عينِ
فما عَلَى الأعيانُ حُكمهُ كُتب فذاك فرضُ العينِ لَيْسَ ينقلب
وما عَلَى الجُملةِ كالجهاد فرضُ كفايةٍ عَلَى العبادِ
يسقطُ عن كُلٍّ إذا البعضُ فعل ويأثمُ الجميعُ إن هُوَ انهمل

فأصبح وأمسي شاكرًا لله عَزَّوَجَلَّ أن وفقكَ لتكونَ طالبَ علم، وأعلم أن هٰذَا من أعظ الاصطفاء، لا تلتفت إِلَى شيء، لا يمين ولا شمال، لا تظن أن هُناكَ مقام في الدُّنْيَا أعظم من هٰذَا المقام، لا تبحث عن مقام أعظم من هٰذَا المقام، ألا وَهُوَ مقام: وراثةُ الْأَنْبِيَاء، لا يوجد أشرف من الْأَنْبِيَاء، ما فيه في البشر أشرف من الْأَنْبِيَاء.

أما وَقَدْ انقطعت النبوة، فليس هناك مقامًا أشرف من أن تكونَ من ورثة الْأَنْبِيَاء الَّذِينَ يتلقون العلم عن هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاء عليهم وعَلَىٰ نَبِيِّنَا الصَّلَاة والتسليم.

النقطةُ الأولى أَيُّهَا الإخوةُ الكرام: هٰذِه النعمة الَّتِي وفقتَ إِلَيْهَا لَا بُدَّ أن تُحافظَ عليها أولًا بدعاء اللهِ عَزَّوَجَلَّ وسؤالهِ الثبات، وأن تُخلصَ فيها لله سبحانه وتعالى، أن تُخلص.

ومحض القصدَ بِهِ لله لا للمرآةِ أو التباهي
فَإِنَّ مَن يقصدُ غيرَ اللهِ في أي أمرٍ كان في تلاهي

اللهُ فاقصدنهُ عَزَّوَجَلَّ واحذر من الرياء في كل عمل فليس يرضى ربنا عباده، أشركتَ فيهامعهُ عباده، هٰذِه قضية لَا بُدَّ أن تصبحَ وتُمسي عليها وتُذكر نفسك بنعمة الله عَزَّوَجَلَّ وشُكرهِ سبحانه وتعالى.

ثُمَّ إن هٰذَا العلم أَيُّهَا الإخوةُ الكرام له طريق، الَّذِينَ يسلكونَ هٰذَا الطريق كُثر، وكل مَن سلكَ هٰذَا الطريق فهو إِنْ شَاءَ اللهُ يُرجى له هٰذَا الأجر العظيم، «**مَن سلكَ طريقًا يلتمسُ بِهِ علمًا**»، لكن الَّذِينَ يصلونَ إِلَى مرتبة الراسخينَ في العلم، الَّذِينَ ينفعُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بهم الأُمة، ليسوا كثيرًا، والناسُ كإبل المائة، لا تكادُ تجدُ فيها راحلة، ما السببُ في ذَلِكَ؟

من أَهَمّ الأسبابِ في ذَلِكَ، طبعًا لا شيء يَعْنِي لا قبل ولا بعد توفيق الله سبحانه وتعالى، لكن هناك أسباب لتحصيل العلم، وَهِيَ:

- السيرُ في طريقٍ صحيح، اليوم كُنت أقول للشباب في السيارة، أقول: لو أننا راكبين سيارة يَعْنِي حالتها حالة، وواحد معه بورش، قُلْنَا نتسابق من مكة إِلَى جدة، من الَّذِي يسبق؟ تقول لي: صاحب البورش، أقول لك: لا، قبل أن يكون صاحب بورش لَا بُدَّ أن يكون عارف الطريق، صح ولا لا؟ عارف الطريق الَّذِي يوصلهُ، لو إِنَّه مسك طريق غلط، والله لو معه طيارة لن يصل، ضح ولا لا؟ فَلَا بُدَّ أن تعرف الطريق الَّذِي تسلكهُ.

لهذا تجد بعض الطُلاب قُدراتهُ الفطرية الَّتِي وهبهُ الله عَزَّوَجَلَّ إياها ضعيفة، لكنهُ يسلكُ طريقًا صحيحًا، وواحد ثاني قدراته فلتة ونابغ، لكنهُ يسلكُ طريقًا لا يصل إِلَى العلم، فتجد أن هٰذَا الَّذِي قُدراته عَلَى قد الحال يصل، وَالثَّانِي لا يصل، لماذا؟ لِأَنَّ هٰذَا مشى في طريق جدة وذاك مشى في الطريق الْثَّانِي ما أوصلهُ إِلَى المراد.

أذكر لما كُنا في الجامعة كان فيه اثنين من الشباب يُسمعون مع بعض "زاد المستقنع"، واحد منهم كان نابغًا في الحفظ، كان موعدهم التسميع بعد صلاة المغرب في السكن الجامعي، فكان اَلْأَوَّلُ ضعيف عَلَى قد الحال، من بعد الفجر وَهُوَ ماسك الصفحة هٰذِه من زاد المستقنع، يُكررها مائة مرة ويُعيد ويزيد.

إذا أذن المغرب دق عَلَى صاحبه، قَالَ: سآتي لك بعد الصَّلَاة، أو أحيانًا يدق عَلَيْهِ بعد الصَّلَاة، يَقُولُ: جاي لك ترى، يَقُولُ: الله، ذكرتني، سأبدأ أحفظ.

يَعْنِي شوف ها ذاك من فجر الله، وَهٰذَا الآن، ثُمَّ يأتون إِلَى مجلس التسميع، من الَّذِي يغلب؟ الَّذِي بدأ بعد الصَّلَاة، ولا غلطة ما شاء الله، نابع، لكنهُ ما واصلَ في طريق

التحصيل، انشغل بوظيفتهِ وأمورهُ، وَالثَّانِي هٰذَا وفقهُ الله عَزَّوَجَلَّ واستمر ومشى عَلَى المنهجية، ختمَ الزاد، وذاك ما ختم، وَالآَخَر صار ما شاء الله له بعض المناشط وكذا، والسببُ في هٰذَا ماذا؟ توفيقُ الله عَزَّوَجَلَّ أولًا، وأن هٰذَا مسك الطريق الصحيح، كونك مع بورش ما مَعْنَاهُ إنك سوف تصل، ما كونك ذكي لَيْسَ مَعْنَاهُ أنك سوف تصل، لَا بُدَّ من توفيق الله، وَلَا بُدَّ أن تسلك الطريقَ الصحيح، هٰذَا الطريق الصحيح ما معالمهُ؟

من الإشكالات الْمَوْجُودَة اليوم عند طُلاب العلم، لما يسمعوا قضية المنهجية في طلب العلم والطريق الصحيح في طلب العلم، يتبادر دائمًا السؤال، يقولون: طيب يا شَّيْخ ممتاز، ما الْكِتَاب الَّذِي أدرسهُ؟ هٰذَا السؤال غلط، لَيْسَ منهجية طلب العلم، ومعنى قولنا: السير الصحيح في طلب العلم أني أُسمي لك كتابًا، هٰذَا أمرٌ ثانوي، الأمور الثانوية في ذَلِكَ هِيَ القواعد الْعِلْمِيَّة، ولهذا لو تمسك أي كِتَاب من كُتب السَّلَف، جامع بيان العلم وفضله، ابْن جماعة، الكناني، تذكرة السامع والمتكلم، وجُلّ الكتُب الَّتِي كُتبت، تعليم المتعلم طريقة التَّعَلُّم، وغيرها من الْكُتُب الَّتِي كُتبت في آداب طالب العلم، أتحداك تجيب لي واحد منها واضع منهجية يَقُولُ لك: أدرس الْكِتَاب الفلاني ثُمَّ الْكِتَاب الفلاني ثُمَّ الْكِتَاب الفلاني.

ما فيه، لا يوجد، لماذا؟ لِأَنَّ هٰذِه القضية تختلف باختلاف البيئة، تختلف باختلاف الزمان، تختلف باختلاف الشَّيْخ الفلاني، باختلاف معطيات كثيرة وَهِيَ قضية: الَّذِي يدرس دليل الطالب ممكن يصير فقيه من أكابر الْفُقَهَاء، إذا حفظهُ ودرسه، وَالَّذِي يدرس زاد المستقنع ممكن يكون من أكابر الْفُقَهَاء، وَالَّذِي يدرس دليل الطالب ممكن ما يخرج منهُ بشيء، إذا ما درسهُ بطريقةٍ صحيحة.

القضية الأساسية هِيَ القواعد المنهجية في سيرك في التَّعَلُّم وليست قضية إِنَّه الْكِتَاب الفلاني، من هٰذِه القواعد، وأنا ذكروني أذكر لكم يوم لأني حاولت أربط العناصر، فَقُلْت هِيَ أربعة تاءات:

- تاء التفرغ.

- وتاء التعاون.

- وتاءُ التركيز.

- وتاءُ التواصل.

خلاص، عشان بس ما ننساها.

القضيةُ الأولى أَيُّهَا الإخوةُ الكرام: نبدأ بتداء التفرغ، ما معنى ذَلِكَ؟ الشَّافِعِيّ ماذا يَقُولُ؟ الشَّافِعِيّ يَقُولُ: لو كُلفتُ شراءَ بصلة ما فهمت من الشارح- ((@ كلمة غير مفهومة- ٠٩:٣٤)) -، نحن اليوم البصلة هٰذِه واحد من المقابض، ما هُوَ بصلة، كيس بصل.

طيب، فمن أَهَمّ الْأَشْيَاء الَّتِي تُعينُ الإنسانَ عَلَى التحصيل أن يُفرغَ ذهنهُ للعلمِ ما أمكنهُ إِلَى ذَلِكَ سبيلا، أي شيء من الملفات الَّتِي موجودة في ذهنك، إن لم تكن ضرورية، حاول إنك تمسحها من الوجود، إذا استطعت إِنَّه ما يكون عندك واتس آب، ولا تويتر، ولا أي وسيلة من وسائل التواصل، لتتفرغ للعلم، ترى هٰذَا مطلب سيُفيدُكَ كثيرًا، ما استطعت، ما هُوَ بلازم.

شوف بس، نقطة مهمة أريدُ أن أذكرها، قاعدة: شوف، الْإِنْسَان يَقُولُ: أنا ما أقدر أتفرغ، إذًا لا أطلب العلم، لا، الَّذِي عندهُ همة سيُحصلُ العلمَ مهما كانت الظروف إِنْ شَاءَ اللهُ، اللي ما قدر يحصلهُ في سنة، يحصلهُ في عشر سنوات، والإنسان الَّذِي ما عنده شغلة ولا مشغلة في الحياة، وَلَيْسَ عندهُ همة فاضي ما عندهُ شيء، محمول ومقفول، وسكن وأكل وشرب، وما عندهُ شيء، هل سيحصل العلم؟ إذا لم يكن عنده همة وعزم، لن يُحصل، فقضية التفرغ، احرص عَلَى تفريغ نفسك ما أمكنك إِلَى ذَلِكَ سبيلا، أي شيء من الملفات الَّتِي ما أمرك الشرع وألزمك بها، إذا قدرت تشيلها وتفرغها للعلم، فاحرص عَلَى ذَلِكَ.

وأمثلة ذَلِكَ تطول، أضرب لك مثال، أبسط مثال: الجوال هٰذَا الَّذِي في جيبك، هٰذَا لوحده يأكلُ من أعمالنا شَيْئًا عظيمًا، ويأكلُ من أذهاننا، يَعْنِي تخيل واحد يتابع أخبار،

وصارت كذا، وصارت مصيبة، وبعدين ما أدريش، وتأتي رسالة في الواتس آب، لا تنقطع، وَهُوَ قاعد يحفظ فجأت رنت الرِّسَالَة، هٰذَا لوحدهِ مشغلةٌ عن التحصيل.

فأول قضية: أن تفرغ نفسكَ للعلمِ ما أمكنكَ إِلَى ذَٰلِكَ سبيلًا.

ويقولونَ: إن العلمَ لا يُعطيكَ بعضهُ حَتَّىٰ تُعطيهُ كلك، حَتَّىٰ يقولوا: ما ذكره من جماعة، وإن كان هٰذَا مبالغة، وإن كان هُوَ حَتَّىٰ نفسه قالها: مبالغة، قَالَ: لا ينالُ هٰذَا العلم إِلَّا مَن عطلَ دُكانهُ وخربَ بُستانهُ، وهجرَ إخوانهُ، ومات أقربُ أقاربهِ ولم يشهد جنازتهُ.

هُوَ علق، قَالَ: هٰذَا وإن كان فيهِ مبالغة، إِلَّا أن المقصودَ بِهِ جمع الأُمة عَلَى العلم، العلم يكون هُوَ المركزية في حياتك، مجلسكَ، أكلكَ، شغلكَ، مركزية حياتك تدور حول العلم، طبعًا تدور حول العلم لِأَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلقكَ لعبادتهِ، والعلم هٰذَا عِبَادَة، بل لا يُمكن عِبَادَة الله أصلًا إِلَّا إذا كُنت تعلم، الله ما خلقنا إِلَّا لعبادته، وعبادتهُ لا يُمكن أن تكونَ إِلَّا بتعلمٌ شرعي، وَإِلَّا صرت بضلال، علمٌ بغيرِ عملٍ وبالُ، وعملٌ بدونهِ ضلالُ.

فالإنسان يحرص عَلَى هٰذِه القضية.

إذًا القضيةُ الأولى: تاءُ التفضل.

الْمَسْأَلَةُ الثانية أَيُّهَا الإخوة الكرام: هِيَ التركيز، لماذا التركيز، ستجد إِنَّه أثره، أنت تُصبح من الصباح إِلَى اَللَّيْل ما عندك شغلة إِلَّا قواعد الأصول، وتكرر وتُعيد وتزيد، تجلس بمجلس فيه واحد من الشباب، يَقُولُ لك: ذَكَرَ السمرقندي في رحلتهِ، وذكر تومشكوسوا في مذكراته، ووجدت أشياء حلوة كدا مطربة للأسماع، تحس نفسك ما عندك سالفة قدامها، وجايب لك مثلًا: ذَكَرَ ابْن الأثير في تاريخهِ، والعجلوني في مدري وين، يذكر لك أشياء جميلة ومطربة، تحس نفسك إنك ما عندك سالفة، وَهُوَ ماذا؟ هُوَ هٰذَا العالم، لكن اصبر، اصبر، خلي هُوَ يستمر عَلَى ما هُوَ عَلَيْهِ، واستمر أنت عَلَى الشغلة هٰذِه من أول النَّهَار إِلَى آخرهُ عَلَى كتابٍ واحد لا تعرفُ غيره، انتظر، عشر سنوات، هٰذَا الآدمي سيبقى مثقفًا مؤهلًا جدًا لكتابة تغريدات في توتير، صدقًا واللهِ ما أكذب عليكم.

ترى لَيْسَ، شوف، كل إنسان يخدمُ دينَ الله عَزَّوَجَلَّ في أي ثغرٍ من الثغور، فهو قُبلة عَلَى جبينهِ، ونرفعُ قُبعتنا تعظيمًا وإجلالًا واحترامًا لجهوده، لكن أنتَ اخترتَ إنك تريد أن تصير عالي، هٰذَا الَّذِي اخترت، ولا تريد شيء ثاني؟ إذا أنت اخترت هٰذَا نتكلم معك، إذا اخترت شيء ثاني أنا لا أُحسن، يَعْنِي حقيقةً، إنسانٌ يُريدُ أن يكون مثقفًا غَيْر الْإِنْسَان الَّذِي يريدُ أن يكون عالمًا، فيه منهجية عشان تكون مثقف وأديب، وفيه منهجية عشان تكون عالمًا، العالم لَا بُدَّ له من التركيز، يَعْنِي تقعد أنت، تتخرج من الجامعة، ما عندك أبدًا إِلَّا سبع كُتب، لكنك تحفظُها وتُتقنُها وتعرفُ مداخلها، ومخارجها، وما يُستدلُ لها، وما يُستدلُ عليها، وإشكالتها، وتستطيع في أي لحظةٍ وأي ساعةٍ من ليلٍ أو نهار أن يُطلب منك درس في أي كِتَاب من هٰذِه الكُتب تُدرس.

مرة جاءني، اتصل علي أحد المشايخ من عُلَمَاء باكستان، وقال لي: أنا أريد أن أزورك، جاء المدينة، وَهُوَ عنده مدارس إسلامية كثيرة، فَقُلْت له: تمام، تواعدت معهُ عَلَى موعد، ثُمَّ دعوتُ بعض المشايخ الَّذِينَ لهم برامج علمية حَتَّىٰ يصير فيه تبادل للخبرات، الجادة المتروكة عند شبه القارة الهندية من عُلَمَاء الهند والباكستان، أن الطالب يتخرج، يقعد عشر سنوات في المدارس الإسلامية، أسماءُ الكُتب الَّتِي درسها يَعْنِي يبغى لها كِتَاب، يدرس يَعْنِي الَّذِينَ درسوا الكُتب الستة في القارة الهندية يزيدونَ عَلَى المليون، الآن عَلَى وجه الْأَرْض، الَّذِينَ درسوا الكُتب الستة.

الموجودون بالمدارس الإسلامية، طبعًا نتكلم مدارسة إسلامية، ما معنى مدارس إسلامية؟ يَعْنِي يدخل من أول ما يبدأ يتعلم القراءة والكتابة حفظ الْقُرْآن إِلَى أن يتخرج برتبة يسمونها "المفتي" يكون قد درس الأكثر منه، يَعْنِي في الفقه يدرسون: نور الإيضاح، والقدوري، وشرح الوقاية، وكنز الدقائق، والهداية، طبعًا كنز الدقائق بعض المدارس دون بعض، لكن هٰذِه الأربعة متفق عليها: نور الإيضاح، طبعًا في قبل الكُتب بالأُردية، لكن ما أدري ما هِيَ، لكن الكُتب العربية الَّتِي يدرسها: نور الإيضاح، والقدوري، وشرح الوقاية، والهداية، هٰذِه يتخرج الطالب وَهُوَ دارسها.

عدد الَّذِينَ درسوا هٰذِه الكُتب في العالم الْإِسْلَامِيّ اليوم يَعْنِي إذا قُلت مليون أنت لا تُبالغ، الَّذِي درس هٰذِه الكُتب الأربعة.

يُفترض إن عندنا مليون فقيه حنفي، هٰذِه الكُتب الَّتِي درسها كُتب سهلة، جيد؟

فالشاهد: أحد المشايخ الَّذِينَ جاءوا في المجلس الشَّيْخ الشنقيطي، فسألت الشَّيْخ الهندي وقُلتُ له: يا شَّيْخ، كم عدد الطلاب الَّذِينَ في المدارس الإسلامية أو تخرجوا منها يَعْنِي عَلَى مستوى العالم، المدارس الهندية، الهند والباكستاني، طبعًا كلهم مدرسة واحدة، الهند وباكستان والبنجلادش أيضًا، وبعض الجهات في إيران، أهل السُّنَّة، تقريبًا كلهم نفس المنهجية الدراسية، فقُلت له: كم عدد الطُلاب الَّذِينَ تخرجوا من هٰذِه المدارس الْإِسْلَامِيّ، يَعْنِي درس القدوري وشرح الوقاية، والهداية، ونور الإيضاح، قُلت له: كم؟

قَالَ: يمكن عشرة ملايين عَلَى مستوى العالم، ترى عشرة ملايين بالنسبة للهند، أنت تتكلم عن قرية صغيرة، يَعْنِي عشرة ملايين رقم كبير، الْمُسْلِمِينَ في الهند أكثر في الْمُسْلِمِينَ يمكن أيش أقول لك، طبعًا بالنسبة للسعودية مثلًا، المملكة العربية السعودية، عدد الْمُسْلِمِينَ عندنا يَعْنِي ييجي مدينة من مدن هٰذِه البلد، ما هُوَ عدد الْمُسْلِمِينَ، عدد السُكان.

طيب، الشاهد: قُلتُ له: كم عدد الَّذِينَ تخرجوا من هٰذِه المدارس؟

قَالَ: يمكن عشرة ملايين.

قلت له سؤال: كم من هَؤُلَاءِ أستطيع أن اتصل عَلَيْهِ الساعة اثنى عشر بِاَللَّيْلِ، أقول له: يا شَّيْخ أبغى آجي أقرأ عليك باب الإجارة من مختصر القدوري؟ تمام، وأروح عندهُ البيت ونسيت الْكِتَاب، بس نسخة الْكِتَاب ما جئت بها معي، فهو يشرحهُ لي من حفظهِ ومسائل الباب، يَعْنِي حَتَّىٰ لم اشترط عَلَى الشَّيْخ حفظ ألفاظ الْكِتَاب، كم من هَؤُلَاءِ العشرة مليون؟

قلت له، نَقُول عشرة؟

قَالَ: والله بالتفاؤل نعم، عشرة، بالتفاؤل، وقال: لو جئنا ندقق يمكن أقول لك: لا أحد.

طيب، قُلت: خلاص، جزاك الله خير.

الشنقيطي، قُلت له: يا شَّيْخ كم عدد طُلاب المدارس الإسلامية في الهند؟

قُلت له يا شَّيْخ: كم عدد سُكان موريتانيا؟ أربعة ملايين.

قلت له: كم فيهم واحد قادر إِنَّه يدرس مختصر الخليل؟

قَالَ: لا يُحصونَ عدة.

مختصر الخليل، ما أتكلم عن الرِّسَالَة لأبي زيد، ولا أتكلم عن ابْن عاشق، لا، لا يحصون كَذَلِكَ، لِأَنَّ الطالب عندهم، الطالب ممكن يتخرج من الْمَدْرَسَة، وَقَدْ حفظَ الألفية وحفظَ شرحها، وليسَ عندهُ نُسخة من الألفية، لأنه يكتب في اللوح، فإذا محاه من اللوحِ، لم يُمحى من صدرهِ إِلَى قيام الساعة، إِنْ شَاءَ اللهُ.

ما الفرق بين الْأَمْرَيْن؟

ها دول درسوا كُتب كثيرة، وَهَذَا ما درسَ إِلَّا أشياء يَعْنِي، وتأتي لأطلق شَّيْخ، الشَّيْخ الشنقيطي، في العالم الْإِسْلَامِيّ كله، تقول له: ما هِيَ الكُتب الَّتِي درستها في حياتك الْعِلْمِيَّة؟ ما راح يتعدى يمكن خمسة عشر كِتَاب، تشرين كِتَاب، لماذا؟

لأنه يدرس الْكِتَاب باتقان.

المقصود من هَذَا الْمِثَال؟

الفرق بين مَن يحرصُ عَلَى الاستحضار، ومن يركز ويحرص عَلَى الإتقان، اجعل قاعدتك في حياتك الْعِلْمِيَّة: الحرص عَلَى الإتقان، كونك تتخرج مُتقن لأخصر المختصرات، أحسن من طالب درسَ زاد المستقنع، والروض المُربع، والمنتهى، والكشاف، والمُغني، والشرح الكبير، لكنه حصيلته فيها لا شيء، ما هُوَ بلا شيء، لكن يَعْنِي حصيلته فيها، ثقافةٌ فقهية جميلةٌ ورائعة، لكنه لَيْسَ أهلًا للإفتاء، لَيْسَ أهلًا للتدريس، صح ولا لا؟ يصلح أن يكونَ باحثًا، قدامه الكمبيوتر، قدامه كُتب يبحث، لكن أنتَ لا تُريدُ أن تكونَ باحثًا، تُريدُ أن تكونَ عالمًا.

فلذلك احرص عَلَى التركيز، ما معنى التركيز؟ معنى التركيز أن تُقللَ المقدار، وتُكثرَ التكرار، وتحرص عَلَى المداومة والاستمرار مع ملازمة الاستغفار للواحد القهار، فبهذا التركيز بإن الله عَزَّوَجَلَّ تُحصلُ شيئًا كبيرًا.

الطالب: ثاني عشان نحفظها.

الشَّيْخ: تقليل المقدار، وتكثير التكرار، والمداومة والاستمرار، هٰذِه الثلاثة الْأَشْيَاء مهمة جدًا جدًا.

أنا التقيت بشيخ في موريتانيا يُقالُ له السفينة، قَالَ بعضُ الموريتانيين، هٰذَا لو سيبويه قَالَ شيء، والسفينة قَالَ شيء، نأخذ بقول السفينة، عالم في النحو، سألته والتقيت بِهِ وَقُلْت له: يا شيخ الألفية كم مكثت في دراستِها؟ قَالَ: سبع سنوات.

يَعْنِي إذا جئت تحسبها، يَعْنِي كل يوم شطر تقريبًا أو أقل من ذَلِكَ، لكنه ما يتعدى هٰذَا الشطر إِلَّا وَقَدْ حفظهُ، وفهمهُ، وعرفَ الشواهدَ عَلَيْهِ، وعرفَ الخلافَ فيهِ، خلاص هٰذَا إذا انتقلَ عنه ما يحتاج.

طيب، سؤال: كم عندنا، -ما أتكلم عن طُلاب الشَّرِيعَة-، كم عندنا من المتخصصينَ في النحو الَّذِي مكث في البكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه، وَهُوَ في النحو، ولم يُحصل مادة الألفية الخام، فضلًا عن شواهدِها، كم؟ والآن أساتذة، أستاذ دكتور في الجامعة، كم؟

السؤال غلط أصلًا، السؤال أن يُسأل: كم ممن هم أستاذ دكتور في الجامعات في اللغة العربية يحفظونَ مضمونَ الألفية، بلاش نشترط حفظ ألفاظها، يحفظون مضامينها؟

أنا أدعي أَنَّهُ لا يُمكن أن يصل إِلَى النصف في حال من الأحوال، أدعي هٰذَا، خلاص، واختبر هٰذَا الإحصاء، يَعْنِي إيش أتكلم؟ مَعْنَاهُ إن اَلرِّجَال نحن جالسين بجلسة نسأله أي مَسْأَلَة من أول النحو إِلَى آخره، وَهُوَ جالس، هل هٰذَا كَذَلِكَ؟

الواقع يَقُولُ: أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، فنحنُ نستكثر، نَقُول: والله سبع سنوات، يا الله يعد الأعمار، والواقع إن هُوَ الَّذِي أتقن وحَصل، وأنا لا أتكلم خلينا من النماذج الَّتِي بالغت

في التكرار، خلينا نتكلم عن الوسط، ولأضرب لكم مثالًا يَعْنِي ضربتهُ مرارًا للطلبة، أسألكم سؤال: ما تقولون في طالبٍ يتخرجُ من الكُلية وَهُوَ يحفظ عشرة علوم، يحفظ فيها متن مختصر، مع قُدرةٍ عَلَى تدريسها في أي ساعةٍ من الليلِ أو النَّهَار، يحفظ في العقيدة مثلًا: سُلم الوصول للحافظ الحكمي، ويحفظ في أصول الفقه نظم السيطة، ويحفظ في النحو مثلًا: نظم الأجرومية لعبيد ربه، ويحفظ في الفقه النظم الجلي.

أنا سأذكرها كلها منظومات، لِأَنَّ المنظومة وحدة الْقِيَاس فيها سهلة، بيت، يَعْنِي النثر حَتَّىٰ السطر ما هُوَ وحدة قياس، لأنه يختلف من طبعة إِلَى أُخرى.

يحفظ النظم الجلي في الفقه، ويحفظ مَثَلًا: في الصرف نَقُول: نيل المُنى مثلًا، ويحفظ في الْبَلَاغَة مائة المعاني لابن الشِّحنة، ويحفظ في السيرة النَّبَوِيَّة أرجوزة ابْن أبي العز.

ما الباقي من العلوم؟

الطالب: الحديث.

الشَّيْخ: مصطلح الحديث يحفظ فيه ترفة الطُرف خمسين بيت، يَعْنِي البيقونية مختصرة، مرة هٰذَا وسط، طرفة الطُرف خمسين بيت.

الطالب: التجويد.

الشَّيْخ: التجويد يحفظ فيه الجزائري.

الطالب: الفرائض.

الشَّيْخ: الفرائض يحفظ الرحابية.

تِلْكَ عشرةٌ كاملة.

الطالب: الأدب.

الشَّيْخ: الأدب لا يُحفظ، تختار ما تشاء، ماذا تبقى؟

الطالب: التَّفْسِير.

الشَّيْخ: التَّفْسِير بحرٌ لا ساحِلَ له، يَعْنِي لا يُمكن أنك تقول لي أحفظ في كتب التَّفْسِير أصلًا، وإن كان فيه منظومة في التَّفْسِير، أقرأ فيها هٰذِه الأيام، المنظومة اسمها: مراقي الأواه إِلَى تدبرِ كتابِ الله، سبعة آلاف وستمائة بيت.

الشاهد: هٰذِه عشرة علوم، ما رأيكم في الطالب الَّذِي يتخرج من الكلية وَهُوَ بهٰذَا المستوى؟ ماذا تقولون: جيد؟ وسط؟ تعبان؟ ما عنده سالفة؟ ما تقييمكم له؟ ماذا تقول يا شَّيْخ؟

الطالب: ممتاز.

الشَّيْخ: ممتاز، صح، يَعْنِي بالنسبة لك تطمح تكون كَذَلِكَ؟ ما رأيك؟

الطالب: ويقدر يشرحها في أي وقت.

الشَّيْخ: جاهز عَلَى مدار الساعة، خلاص.

نسألكم سؤال: كم تتوقعون مَن يمكنه تحصيل هٰذَا خلال الأربع سنوات، في حفظ كم بيت في اليوم؟ طبعًا يحفظ ويدرس، هٰذَا أيضًا وصية لطالب العلم، المتن الَّذِي تحفظهُ لَا بُدَّ أن تتفهمه، والمتن الَّذِي تتفهمهُ في أصول العلم ينبغي أن تحفظهُ، لا تخلي خط الحفظ ما له علاقة بخط الدراسة، ما فيه مشكلة استعديت، تقول: والله السنة القادمة سوف أدرس الألفية أحفظها الآن لكي أدرسها السنة القادمة.

لكن شغلة إني استكثر من حفظ المتون الَّتِي لا نيةَ لي في دراستِها، خاصة العلوم الَّتِي أنا ما درستها، هٰذَا منفعتهُ قليلة.

خلينا نرجع لصاحبنا هٰذَا، كم تتوقعون إِنَّه حَتَّىٰ يصل إِلَى هٰذِه الرُتبة يحفظ كم بيت في اليوم مع دراستِها، أربع سنوات.

الطالب: خمس أبيات.

الشَّيْخ: خمس أبيات.

الطالب: عشرة.

الشَّيْخ: عشر أبيات.

الطالب: ثلاثة.

الشَّيْخ: ثلاثة.

طيب، نطلع الآلة الحاسبة ونشوفها، لغة الأرقام نَقُول.

الطالب: كم بيت؟

الشَّيْخ: احسبها وشوف، سلم الوصول: ٢٩٠ صفحة.

وَالثَّانِي: نظم الجلي: ٨٨٨، إذا تبدون الإحمرار، أنا أنصحكم بحفظ الاحمرار، نظم الصغير: ٩٠، مائة المعاني ١٠٠، الأرجوزة ١٠٠، الرحبية ١٧٠ تقريبًا، ١٧٦.

طرفة الطرف ٥٠، نيل المُنى ٩٠، التجويد الجزرية ١٠٧، نظم الأجرومية ١٥٠.

هٰذِه عشرة، هٰذِه عددُ أبياتِها ألفين وواحد وأربعين بيت.

أربع سنوات، أربعة ضرب ٣٦٠، كم الناتج ١٤٤٠، اَلْأَوَّلُ كم؟ ٢٠٤١، يَعْنِي تبغى تحفظ في كل يوم بيت ونصف، يخارج معك.

الطالب: الإجازات يا شَّيْخ.

الشَّيْخ: بالضبط، نحن نتكلم عن بيت ونصف مع الإجازات، تبغى تعوض الإجازات، زود، أنت عاد وحسبتك، لكن نتكلم عن واحد يحفظ في كل يومٍ بيتٍ ونصف، خلينا نَقُول: بيتين، خلينا نتكلم عن بيتين، اترك البيت والنصف، بيتين في اليوم، لو تَكَلَّمَ واحد وتقول له: احفظ بيتين في اليوم، ماذا يَقُولُ لك؟

الطالب: قليل، يقدر يخلص.

الشَّيْخ: سهلة، بيتين تحفظهم في اليوم، ماذا تصنع؟ بيتين في اليوم تصنعها للَّذِي ذكرناهُ لك.

بيتين في اليوم تكررها (٣٠٠) ثلاثمائة مرة، كم تأخذ منك؟ ساعة، تكررها المائة مرة تأخذ في البيت الواحد عشر دقائق بالزيادة، وَإِلَّا هِيَ سبع دقائق، عشر دقائق، ثلاثمائة مرة، نصف ساعة، بيتين؟ ساعة.

ودراستُها تسمع فيها شرح، يَعْنِي تلقى الشَّيْخ شارح البيت الواحد خمس دقائق، يَعْنِي تسمع الشرح كم؟ عشر دقائق، اسمعهُ ثلاث مرات هٰذِه نصف ساعة، هٰذِه ساعة ونصف تحصيل حلو، وبعدين رواح نام، ما نبغاك تطلب العلم، خلاص؟

وضع لك في الأسبوع ساعة زيادة للمراجعة حقة الأسبوع، لكن مع التركيز، تُحصل هٰذَا ولا ما تحصل؟ تُحصلهُ بلغة الأرقام، ما تقول لي: والله هٰذَا مِمَّا لا مجالَ للرأي فيه، أثبتنا لكم إياه بالآلة الحاسبة، لكن القضية أين؟

القضية إن الواحد يأتي يطلب العلم ويتحمس يَقُولُ: اليوم أنا سأحفظ أربعين بيت، صح يحفظ أربعين بيت، ويسمعها للشيخ بدون ولا غلطة، لكن بعد شهر لا يفقه منها شيء، ويتحمس لطلب العلم، فيحضر بعد المغرب درس في الأصول، وبعد العشاء درس في الْبَلَاغَة، وبعد الظهر يشوف له شَّيْخ شنقيطي ويقرأ عَلَيْهِ، وبين الـ، تلقاه مشتت نفسه، ويقرأ في التَّارِيخ، ويقرأ في الأدب، ويسمع عن أهمية التَّارِيخ لطالب العلم، فيروح يشتري البداية والنهاية ويحط له برنامج فيه.

فيطلع في نهاية الأربع سنوات مثقف ثقافة جميلة، لكنهُ ليسَ طالب علم، وصاحبنا هاذاك قَالَ: والله لا باشتري تاريخ ولا اشتري، عندي الساعة ونصف حقتي هٰذِه، أركز عليها وأمشي واستمر عليها، منَ الَّذِي سيخرجُ لنا طالبَ علمٍ مُحصل؟ مَن؟ صاحبنا هٰذَا اللي ماشي عَلَى قد حاله، لكنهُ مركز.

فلذلك وصيتي لكم بالتركيز.

- انتهينا من التفرغ.
- انتهينا من التركيز.

وطبعًا شوف، التركيز من أَهَمّ الْأَشْيَاء فيه كثرة التكرار، تقول لي: أنا قرأت، تقول لي: أنا درست، هٰذَا لا يُفيد في مرتبك الْعِلْمِيَّة، مرتبتك الْعِلْمِيَّة هِيَ: ما أتقنتهُ، وَلَيْسَ ما درستهُ، الرُتب الْعِلْمِيَّة في الجامعات عَلَى حسب حالة الترقي، ممكن يكون واحد عنده أربع أبحاث ترقية ويصير أستاذ دكتور.

وواحد لَيْسَ عنده أي شهادة أصلًا، وَهُوَ أعلم منهُ، وَهٰذَا كثيرٌ جدًا في الواقع، أما في الحقيقة فرتبتُكَ في العلم هِيَ ما تُتقنهُ، ما ضابط الإتقان؟ نتصل عليك الساعة واحدة بِاَللَّيْلِ نَقُول لك: تعال، الشباب أشكل عليهم بابَ الاشتغال من الألفية، يبغونك، نريدك تشرح لهم الباب، صحيه من النوم وقول له باب الاشتغال يشرح لهم.

ماشي، هٰذَا هُوَ ضابطُ الإتقان بالعلم، أما شغلة: والله أبغى أحضر، أعطوني مُهلة، تمام؟ كما هُوَ حالنا، الله يتوب عَلَيْنَا أَجْمَعِيْنَ، لكن هل هٰذَا هُوَ حقيقةُ العلم؟ مع الأسف لَيْسَ كَذَلِكَ، واضح؟

- ➤إذًا هٰذِه قضية التفرغ.
- ➤وقضية التركيز.
- ➤نأتي الآن إِلَى قضية التعاون.

هٰذِه يا مشايخ من أعظم المِنن عَلَى طالب العلم أن يجدَ مَن يعاونهُ عَلَى العلم، أنا ترى مُغرم بالشناقطة معلش شوي، سامحوني، تمشي عندي الشناقطة، طيب، المحضرةُ الشنقيطية، دورُ الشيخِ فيها خلال اليوم يمكن بالنسبة لك أنتَ يا طالب تدرس الألفية، تروح للشيخ ربع ساعة في اليوم، وصلى الله وبارك عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد.

باقي اليوم ماذا تفعل؟ تكرر الدَّرْس، وتعيد، وتروح مع أقرانك، وتروح مع طالب علم متقدم سابقك في الألفية، يشرح لك، يُعطيك أمثلة، يُعطيك تطبيقات، الشَّيْخ ربع ساعة، لكن وربما وجدتَ عالمًا كبيرًا، لكن لن تستطيع أن تسفيدَ منهّ إستفاتدك من التحافك بمكان يُعينك عَلَى التحصيل.

يَعْنِي هل كونك درست عند أكبر عالم، مَعْنَاهُ تصير أكبر طالب علم؟ لا، الَّذِي درس عند الشَّيْخ ابْن باز راح يكون أحسن من الَّذِي درس عند طُلاب طُلاب ابْن باز؟ لَيْسَ بالضرورة.

فالقضية في العلم لَيْسَت قضية الشَّيْخ الَّذِي أخت عنهُ، كم في كُتبِ أهل العلم، كم في تراجم أهل العلم من عُلَمَاء لا يُعرفُ شيوخهم، يَعْنِي عشان تلقى شيوخهم فُلَان وفلان

وفلان، تدور عَلَى تراجمهم بالمناقيش، وَأَمَّا هُوَ فهو مُبرز وعالم كبير، لِأَنَّ القضية في العلم لَيْسَت قضية إِنَّه فيه شَّيْخ يدرس له.

الشَّيْخ لا يُلقمُكَ العلم تلقيمًا، الشَّيْخ يُعطيك معلومة، هٰذِه المعلومة تحفظها، تفهمها، تعيد، تكرر، إِلَى آخره.

فمن أعظم ما يحتاجُ إليهِ طالبُ العلم: البيئةُ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي تُعينهُ عَلَى التحصيل، والشيخُ واحدٌ من أركانِها وَلَيْسَ هُوَ كُلُّ شيء، تحتاج أنت أولًا: إِلَى شَّيْخ يُدرسُك، تحتاج إِلَى نفس فيها عزم وفيها همة وفيها حرص، إذا ما عندك هٰذِه النفس والله لو جابوا لك شيوخ الْأَرْض كلهم، لن تُحصل.

تحتاج إِلَى شَّيْخ، تحتاج إِلَى نفس، عزيمة، تحتاج إِلَى قرينٍ مصاحب تتعاونُ معهُ وتتذاكرُ معهُ العلم، وسمعت بعض مشايخنا يَقُولُ: حاجةُ طالب العلمِ إِلَى قرينهِ أعظمُ من حاجتهِ إِلَى شيخٍ، الشَّيْخ يُلقي لك الدَّرْس والسلام عليكم، ما قصر، يلا خير، لكن أنت تحتاج أن تُدارس العلم، العلم إذا ما دارستهُ وألقيتهُ عَلَى غيركَ، وسمعتهُ، وكررتهُ فإنهُ يذهب.

ولذلك قِيل: حفظُ سطرين خيرٌ من قراءة وقرين، وقرين اللي هُوَ حمل بعير من الكُتب.

قالوا: حفظُ سطرين خيرٌ من قراءةِ وقرين، وخيرٌ من زين مذاكرةُ اثنين.

حينما تلاقي واحد إذا جلستَ معهُ أعطاك مَسْأَلَة، ثُمَّ رديت عَلَيْهِ، ثُمَّ ناقشته، ثُمَّ أنتَ تُلقي عليهِ ما سمعتهُ في الدَّرْس، يَقُولُ لك غلط، أنتَ فاهم غلط، تمام؟ وتكتشف فعلًا إنك فاهم غلط، ثُمَّ تُصحح معلوماتك، ثُمَّ مرة أنتَ تغلطهُ، ومرة هُوَ يُغلطك، تعيش هكذا في حياة العلم تتنقلُ بينَ مسألةٍ ومسألة، لَا شَكَّ أن هٰذَا من أعظم ما يُساعدُ طالب العلم في تحصيلهِ للعلم.

لَيْسَت القضية إنك عندك شريط فيه علم، الآن اللاب توب والجوال فيه ما شاء الله معلومات كثيرة، لكن البيئة الَّتِي تُعينك، البيئة الَّتِي تُحفزك، تجد مَن يُسمع لك، تجد منَ

يحثك، تجد مَن يُتابعك، تجد مَن تقرأ عَلَيْهِ، تجد مَن يُخطئُكَ إذا أخطأتَ، تجدُ مَن يُصححُ لكَ فهمكَ إذا يَعْنِي أصبت، وهكذا، هٰذَا من أعظم ما يحتاجهُ طالب العلم.

لذلك رأيت بعض الطُلاب في موريتانيا، وجدتهُ رحل إِلَى محضرةٍ بعيدة عن العاصمة جدًا، قُلت له: طيب، العاصمة فيها عُلَمَاء، شَّيْخ المحضرة الَّذِي عندك أنت ما هُوَ مِن كِبار الْعُلَمَاء، فيه في العاصمة نواكشوط ناس أعلم منهُ، لماذا لم تذهب إليهم؟ قَالَ: لِأَنَّ البيئة الَّتِي أعيشُها هنا عندَ الشَّيْخ بيئة مُعينة عَلَى العلم، نواكشوط ما أجد هٰذِه البيئة الَّتِي تفرغوا فيها أهل العلم، ويعيشوا فيها اليوم والليلة كلها في فلك العلم.

وكان فعلًا، هٰذَا هُوَ الصواب، هٰذَا هُوَ العقل يقتضي إنك تبحث عن البيئة الصالحة الَّتِي تُعينُك، والشيخُ أحدُ أركانِها، أما إذا فيه شَّيْخ وما فيه بيئة علمية، فيعني الاستفادةُ من هٰذَا الشَّيْخ تقل، ما نَقُول: تنعدم، تقل.

➤فَهٰذِه القضيةُ الثالثة: التعاونُ عَلَى العلم، التعاون عَلَى العلم نعمة عظيمة أن تجد بيئةً تُعينُكَ عَلَى تحصيل العلم.

➤القضيةُ الرابعة: وَهِيَ قضية التواصل، وأقصد بالتواصل التواصل مع الْعُلَمَاء، التواصل مع مَن سبقكَ في الخبرة، التواصل مع أهل العلم، سُبْحَانَ اللَّهِ، بعض الْعُلَمَاء تزورهُ، تنظر إليه، تستشيرهُ في كَلِمَة كلمتين، تسألهُ في مَسْأَلَة، واللهِ إنها تفيدك إِلَى نهاية حياتك فائدة لا تخطرُ لكَ عَلَى البال، يَعْنِي يصحح لك خطأ منهجي في حياتك.

بعض المشايخ تحضر عندهُ بدون ما تسأل ما الْكِتَاب الَّذِي يشرحهُ، لأنه يوجهك توجيهات منهجية ويقولون: الَّذِي يعلمك الصيد أحسن من الَّذِي يُعطيك في كل يوم سمكة.

فأحيانًا التواصل مع مَن سبقكَ في العلم واستشارةُ الناس، بعض الطُلاب من رأسه كدا، يَعْنِي هُوَ عنده حماس، وعندهُ إقبال عَلَى العلم، فيأتي من دونِ أن يستشير، ويتخذ خطوة في حياتهِ.

يَعْنِي مثلًا: أعرف مَن لم يحفظ في حياتهِ متنًا قط، أول متن افتتحَ بِهِ حياتهُ الْعِلْمِيَّة: الكوكب الساطع للسيوطي، إن تتخيل واحد واصل في مسالك العلة، وقوادح الْقِيَاس، والله حقيقة ترى، قوادح الْقِيَاس وقصص، وَهُوَ لو سألتهُ: ما أقسامُ الْكَلَام؟ ما هِيَ علامات الرفع؟ ما يعرف، ممكن يعرف بس يَعْنِي بالمُتابعات والشواهد الَّتِي لديه، يَعْنِي ما يستطيع أن يسردها، تقول له: حروف الجر، ما يقدر يُجيبك.

والسببُ في ذَلِكَ ما هُوَ؟ أَنَّهُ هكذا سمع إن الكوكب الساطع حاجة عظيمة في أصول الفقه، وأحسن كِتَاب في أصول الفقه، وَهُوَ حب أصول الفقه، قرر يحفظ الكوكب الساطع، انْتَهَى من الكوكب الساطع، لسه ما انْتَهَى هُوَ، لكن لو انْتَهَى من الكوكب الساطع يكون ماذا؟ يكون ما شاء الله علامة في الأصول، إن صح التعبير، وصفر في علوم الشَّرِيعَة، هٰذَا لا يحسُن، وفي الحقيقةِ أصلًا هُوَ لن يكون علامةً في الأصول، لِأَنَّ العلوم بعضها مرتبط ببعض، كثيرٌ من مَسَائِل العلم لا تفهمها إِلَّا وأنت فاهم علوم أُخرى.

ما السَّبَب في هٰذَا؟

السَّبَب إِنَّه لم يستشر، ومثلهُ في هٰذِه الْحَالَة، نَقُول: ما دام إنك حابب أصول الفقه، وإن لزم تبدأ بها ابدأ بنظمٍ صغير، ثُمَّ خُذ سائر العلوم، يكون عندك قاعدة أساسية من العبارات، يَعْنِي بعض أهل العلم يقولون: طعامُ الكِبار سم الصِغار، كون المندي شيء طيب ومفيد، لكن تأتي للرضيع تأكلهُ مندي يموت.

والدواء ينفع ولا ما ينفع، لكن تأتي لواحد صحيح وتُغذيه عَلَى الأدوية؟ يموت، صح ولا لا؟

فبعض العلوم هِيَ دواء، وبعضُها غذاء، فلا يصحُ أن يُتخذَ الدواءَ غذاءً، مَن الَّذِي يُعلمكَ هٰذَا؟ مَن الَّذِي يَقُولُ لك: إن المندي ما يصلح لك في هٰذِه المرحلة، مع إني كُنت سمعت كَلِمَة عن فضل المندي، صحيح هٰذَا، يَعْنِي نحنُ لا نُزهد ولا نُقلل من شأن المعصوب الآن، ماشي؟ ولكنها لا تصلحُ لكُلِّ أحد، ما الَّذِي يقيكَ من هٰذِه المزالق؟

الاستشارة، بعض الناس يأتي في أول العلم، يبغى أكبر كِتَاب، يَقُولُ: خلاص، ما عاد احتاج إِلَى شيءٍ بعدهُ، ثُمَّ ما يلبث حَتَّىٰ كِتَاب الطهارة ما يخلصهُ، وَهُوَ جاهلٌ بسائر العلوم، ما الَّذِي يقيهِ من هٰذِه المزالق؟

أن يسألَ مَن سبقهُ، شوف، ينبغي أن تسأل شخص جمع ثلاثة أمور، الشخص الَّذِي تستشيرهُ في برنامجكَ العلمي جمع ثلاثة أمور، وإن زدتَ رابعًا فلا بأس:

- الشرط اَلْأَوَّلُ: أن يكونَ عالمًا بالميدان الَّذِي تستشيرهُ فيه، فلا تروح تستشير واحد متخصص في الهندسة النووية وتسأله أفضل شروح الألفية، خلاص، إذًا الشيء اَلْأَوَّلُ: أن يكونَ عالمًا بما تسألهُ عنه.

- الشرط الْثَّانِي: أن يكونَ له خبرةٌ بالتعليم، بعضَ الناس عالم باللُغة، لكنهُ أستاذ دكتور مشغول بالأبحاث وكذا، تسأله: ما أفضل كِتَاب؟ يَقُولُ لك: شوف، شرح الْكِتَاب لسيبويه، أو شرح المفصل لابن يعش هٰذَا ما يحتاج، ثُمَّ تدخل في شرح المفصل لابن يعيش وما تعيش، خلاص، ما يحسن، لا يليقُ بك، صح إن كتابهُ هُوَ أفضل كِتَاب، لو سألت: أفضل كِتَاب في التَّفْسِير؟ يَقُولُ لك: والله أفضل كِتَاب تفسير الطبري، لكن هل هُوَ أفضل لكَ أنتَ؟

سببُ ذَلِكَ أنهُ لَيْسَ له خبرةٌ بالتعليم، لَيْسَ عَلَى ذهنِهِ إِنَّه فيه مبتدأ وفيه منتهي وفيه متوسط وَهٰذِه الأمور.

- الشرط الْثَّالِث: أن يكون عارفًا بحالكَ أنت، يمكن تسأل واحد ما يعرف حالك، يَقُولُ لك: والله شوف، يُعطيك وصية نافعة جدًا، لكنها لا تصلحُ لك، ولذلك الطبيب لما تروح له، لازم يكون لك ملف في المستشفى، يعرف حالاتك السابقة، يعرف وضعك، فيعطيك دواء يتناسب، ما تشوفه يسأل إذا جاء يوصف الدواء، يسأل مثلًا واحدة مريضة، يَقُولُ: هل أنتِ حامل؟ تقول: لا، هل عندكِ سُكر؟ تقول: لا، عندك ضغط؟ ماشي؟ لِأَنَّ الطبيب يصفُ لك الدواء الَّذِي يُناسبُ حالك.

– الشرط الرَّابع، أزيدكم من الشعر بيت، وَهٰذَا رأيتهُ ووجدتهُ، وبعدين سمعتهُ كَلِمَة من بعض الْعُلَمَاء، فوافق ما عندي، إن صحَ التعبير، وَهُوَ: أن بعضَ الناس يكونُ نابغًا جدًا، قد آتاهُ اللهُ نبوغًا، فلتة، هٰذَا لا يصلحُ أن يُرسُمَ للناس برنامج علمي، وبعض الوصايا الَّتِي وجدت إنها خطأ، تعب يَعْنِي، ما يُمكن أن تُقبل في طريق التَّعَلُّم، ما يُمكن تكون هٰذِه الطريقة صحيحة للتَّعَلُّمِ.

تتبعت فوجدت أن سببها أنها صادرة من واحد نابغ، هُوَ الرَّجُل يسمع من أول مرة ويحفظ، فتقول له: كم أُكرر المتن لأجل حفظي، يَقُولُ لك: يا أخي ثلاث مرات بس، وَهُوَ يعتبر إن ثلاث مرات أصلًا ضغط عَلَى نفسه حَتَّىٰ يَقُولُ ثلاث مرات، لماذا؟ لأنه نابغ جدًا، وَهُوَ فعلًا الْكَلَام الَّذِي يقولهُ هُوَ عن نفسه.

وغالب الناس سُبْحَانَ اللَّهِ فيهم طبع، يحسب أن الوضع العادي هُوَ وضعه، حَتَّىٰ تلقى العاصي يشوف إن هُوَ كدى تمام، الزيادة شوي، يَعْنِي ما شاء الله عليهم بس مزودين، والأقل منه، حَتَّىٰ يَقُولُ: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ أنا أصلي، في ناس ما يصلون، ويعتبر إن هٰذَا الوضع الافتراضي، يَعْنِي، هٰذَا ضبط المصنع، وفيه ناس عندهم زيادة.

فكذلك الشخص هٰذَا النابغ، تلقاه هُوَ يفترض إن الناس هكذا، فيبدأ يوصي وصايا تصلحُ له، لكنها لا تصلحُ لنا.

فَهٰذِه يَعْنِي أربعة أمور أحببتُ أن أُشيرَ إِلَيْهَا، وأنا ما أُحب أن طول، أولًا: لأستفيدَ منكم، والمشايخ الكرام حفظهم اللهُ تَعَالَىٰ، وأيضًا لو في أحد عنده سؤال أو استفسار فأرحبُ بِهِ، واللهُ أعلم، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِيْنَ.